

سياسات الأندلس ودائرية التاريخ
في الثقافة المغربية إبان الاستعمار:
مجلتنا «المعتمد» و«كتامة»*

إتزيا جويكوليا - أمانو

في عام ١٩٥٦، كتب الأديب الكبير ميخائيل نعيمة رسالة للمستشرقة الإسبانية ليونور مارتينيث مارتين Leonor Martínez Martín التي كانت تقوم بترجمة ديوان نعيمة همس الجفون (١٩٤٣) إلى الإسبانية مع الشاعر المغربي محمد الصباغ (١٩٢٩-٢٠١٣). وفيها عبّر الأديب اللبناني عن آمانيته بأن يتقن اللغة الإسبانية كي يتذوق أدبه بالإسبانية، وتوجه بالشكر إلى المستشرقة على النسخة المهداة له من ترجمتها الإسبانية لمجموعة الصباغ الشعرية أنا والقمر (١٩٥٦). وأضاف: «صديقنا محمد من الشعراء الجديرين بأن تنقل آثارهم إلى اللغات الأجنبية، وبالأخص إلى الإسبانية التي تربطها بالعربية صلات قرى عريقة في القدم»^١. ومن هذا المنطلق، أرى أن المجلتين الأدبيتين - المعتمد (١٩٤٧-١٩٥٦) وكتامة (١٩٥٣-١٩٥٩) - اللتين سأحللها في هذه المقالة لعبتا دوراً رئيسياً في تكوين شبكة واسعة بين أدباء ومفكرين إسبان ومغاربة وعرب من بلاد المشرق والمهجر بشمال أمريكا وجنوبها، كما يتضح من تبادل الرسائل بين نعيمة ومارتينيث مارتين، والرسائل بين الصباغ ونعيمة وكبار الأدباء العرب أيضاً (انظر/ي عباس)، وكذلك بين الشاعرة الإسبانية التي أنشأت مجلة المعتمد طرينا ميركادير Trina Mercader والأديبة الفلسطينية فدوى طوقان التي أشارت بإعجاب في رسالتها لميركادير عام ١٩٥١ إلى «الصلة الأدبية الجديدة التي ربطت روحينا برباط الشعر والمحبة» (ص ٧).

أسست ميركادير (١٩١٩-١٩٨٤) المجلة الأدبية المعتمد: شعر ونثر في مدينة العرائش المغربية عام ١٩٤٧. وقد جاء اسم المجلة على اسم شاعر إشبيلية وحاكمها محمد المعتمد ابن عباد (١٠٢٧-١٠٩٥)، تكريماً له. ثم انتقل مقر المجلة إلى مدينة تطوان عاصمة الحماية الإسبانية (١٩١٢-١٩٥٦) عام ١٩٥٣، حيث أنشأ الشاعر خائنطولويث كورخيه Jacinto López Gorjé (١٩٢٥-٢٠٠٨) شقيقتها، المجلة الأدبية كتامة (انظر/ي MULOSIGE).

وقد توقف نشاط مجلة المعتمد عام ١٩٥٦ ، عام استقلال المغرب ؛ وأما مجلة كتامة ، فاستمر إصدارها حتى عام ١٩٥٩ . أدت المجلتان إلى إنشاء مشاريع ترجمة تعاونية من خلال ترجمة أعمال أدبية ظهرت على صفحاتهما ، بطبيعة الحال ، وخارجهما أيضاً . ولم تقتصر فيها على الترجمة من الإسبانية - لغة المستعمر - إلى العربية - لغة المستعمر - بل من العربية إلى الإسبانية أيضاً . ونشرت المجلتان نصوصاً أدبية ونقدية باللغتين الإسبانية والعربية ، ولكن لم تحصل العربية على مكانة مساوية للإسبانية إلا تدريجياً (انظر/ي Goikolea-Amiano) . فهل كان لإشارة نعيمة إلى وجود «صلات قري عريقة في القدم» بين اللغتين أثر في طابع المجلتين ، وكيف؟ ما معنى صلات القري تلك تاريخياً وأدبياً؟ وكيف نستوعب الإشارة إلى القري وتاريخها العريق في سياق الحماية الإسبانية على شمال المغرب ، وفي سياق هذه المبادرة الأدبية على الأخص؟

أهملت المجلتان إلى حد كبير في مجال الدراسات الإسبانية والمغربية . كما أهمل الشمال المغربي بكامله حيث كان مستعمراً من قبل قوة استعمارية من درجة ثانية مثل إسبانيا ، على عكس بقية البلاد التي سقطت تحت حماية فرنسية أو تحت راية دولية مثل مدينة طنجة . ومن ثم ، تم التركيز على الأدب والمجلات الأدبية من جنوب البلاد أكثر من شمالها (انظر/ي Fernández Parrilla) ، وبخاصة مجلة *Souffles* (١٩٦٦) الطليعية الصادرة بالفرنسية للشاعر عبد اللطيف لعبي وشقيقته العربية أنفاس (١٩٧١) اللتين كونتا شبكة أدبية مهمة بين أدباء مغاربة ومشاركة (انظر/ي McMannus) ، كما فعلت مجلتا المعتمد وكتامة قبلها بعقد من الزمان^٢ . وكما أكد الناقد والمترجم المغربي مزوار الإدريسي ، من المؤسف عدم إعطاء النقد العربي المجلتين حقهما من الدراسة ، وبخاصة أنهما تمثلان «لحظة حاسمة في تاريخ الشعر العربي بكامله» . سيكشف إخضاع المعتمد وكتامة للتحليل عن مناهج جديدة حول الثقافة والأدب الاستعماريين في شمال المغرب ، وقضايا أوسع ترتبط بالحدثة الأدبية والتاريخ الأدبي ، والصلات الأدبية بين المشرق والمغرب وإسبانيا والأداب الأوروبية ، والمفاهيم الجغرافية والتاريخية والسياسية التي شكلت نظريات وتوجهات أدبية في منتصف القرن العشرين .

وعلى الأخص ، تبحث هذه المقالة في تصوير الأندلس ومكانة الأدب الأندلسي في المجلتين ، وتكشف عما أسميه «سياسات النفوذ» لدى الأندلس ، أي التصوير المثالي والاستثنائي للأندلس الذي يضيف قيمة ورفعة مقام وهيبة

للحضارة والثقافة والأدب في المغرب وإسبانيا. إذ يبين التحليل الدور الذي يلعبه التاريخ في تصوير المجلّتين لكل من المغرب وإسبانيا على حدة، وكذلك لعلاقة البلدين والأدبين، التي تتمثل في امتداد نفوذ القيمة الحضارية والنهضوية من الماضي (الأندلسي) إلى الحاضر (الإسباني والمغربي). وتتناول الملاحظات الختامية تأثير هذا التاريخ المشترك في مفهوم التاريخ نفسه، وتفرد المغرب ضمن السردية النهضوية العربية فيما يخص علاقته بالماضي عامة وبالأندلس خاصة، الأمر الذي يؤدي بنا إلى استيعاب التاريخ بوصفه فاعلاً وليس مفعولاً فحسب. انطلقت مجلة المعتمد بوصفها مبادرة من مجموعة كتّاب إسبان ومغاربة راغبين في تحدي الافتراضات الاستعمارية المهيمنة على مجال الثقافة في ظل الحماية الإسبانية على شمال المغرب. وقد أكدت ميركاير في مقالة نشرت فيما بعد أن الأنشطة الثقافية التي دعمتها السلطات الإسبانية خلال ثلاثينيات القرن العشرين وأربعينياته كانت «تعزز تفوق الدولة الحامية على الدولة المحميّة» (Mercader 76).³ وكان بين أول المشاركين في المجلة الشاعر المغربي عبد القادر المقدم، ومدرّس الأدب العربي إبراهيم الإلغي، والكاتب المسرحي والمترجم من مدينة العرائش إدريس الديوري. كانت مجلة المعتمد أول مجلة تصدر نصوصاً أدبية بالإسبانية والعربية، وقد تميّنتها الكاتبة الإسبانية كارمن كوندي Carmen Conde قائلة إن «استثنائيتها ستستند إلى مغربيتها» (كما ورد في Mercader 77). وانضمت إلى المبادرة في بدايتها أيضاً مجموعة من شعراء مدينة مليلية، وبينهم لويث-كورخيه الذي أصبح رئيس تحرير مجلة كتامة بعد بضعة أعوام.

يتضمن أول عدد من مجلة المعتمد تصريحاً عن هدفها، ألا وهو إيجاد «روح إسبانية-مغربية جديدة» ("Presentación"). ويبدو أن ميركاير، كاتبة المقالة غير الموقعة، قد جمعت بين فكرة التفاهم الإنساني عبر الشعر من جهة («الشعر أسهل وأضمن طريقة للاتحاد الإنساني»)، ومن جهة أخرى فكرة الاتحاد الإسباني-المغربي عبر الأدب والتاريخ المشترك (حيث جاءت المجلة نوعاً من «الوفاء للمعتمد [بن عباد] لتشيّد بالشعب الأخ»، "Presentación"). بذلك اقترح أول عدد من المجلة إمكانية أن يتم الاتحاد بين «الشعبين الأخوين» عبر الماضي الأندلسي المشترك الذي يمثله تمثيلاً نموذجياً شاعر إشبيلية الأندلسية وحاكمها المعتمد بن عباد. وفي الذكرى السنوية الأولى للمجلة، احتفى العالم المغربي الكبير عبد الله كنون (١٩٠٨-١٩٨٩) بالمبادرة، فكتب فيها قائلاً إن ميركاير تستهدف «عقد

الصلة بين أدباء العدوتين والتعريف بشعراء الأمتين» ، و«لذلك أطلقت على مجلتها البديعة الاسم الرمزي» («نهضة»).

ربما لزم هنا إيضاح المفاهيم المرجعية الخاصة باستعمار إسبانيا لشمال المغرب ، حيث جاء تبرير الاستعمار الإسباني الحديث للمغرب بخطاب الأخوة الإسبانية-المغربية المبنية على التاريخ المشترك . لقد بدأت إسبانيا في التعبير عن «حقوقها الجغرافية والتاريخية» في أفريقيا بعد عام ١٨٣٠ ، عندما بدأت فرنسا استعمار الجزائر (انظر/ي Morales Lezcano). ومنذ القرن التاسع عشر ، وظف العسكرُ الإسبان ورجال السياسة والدين والعلم التاريخَ المشترك بين المغرب وإسبانيا - «صلات قرى عريقة في القدم» ، كما أشار نعيمة - لتبرير الاستعمار الإسباني للمغرب ، واستمرت تلك المرجعية تحتل صلب الخطاب الاستعماري خلال فترة الحماية (انظر/ي Madariaga; Mateo Dieste; Martin-Márquez; Calderwood). وقد مثّلت الأندلس الفترة الأبرز في التاريخ الطويل المشترك بين «العدوتين» على حد تعبير كَنون في مقالته المذكورة أعلاه ، ويشير الوصف إلى ضفتي مضيق جبل طارق كما كان يسميه علماء الجغرافيا الأندلسيون (انظر/ي Lapiedra). فعلى عكس فرنسا التي ادعت نشر حضارتها عن طريق استعمار المغرب العربي والشرق الأوسط وغيرها من أماكن ، كان الإسبان يشددون على التشابه والقربى والأخوة بين المغاربة والإسبان .

من المؤكد أن اسم مجلة المعتمد ، والمبادئ الواردة في تقديم عددها الأول ، وكذلك احتفاء المفكر المغربي كَنون بها ، ورسالة الأديب نعيمة جاءت كلها مواتية للخطاب الاستعماري ، إذ تبرز جميعها مفاهيم الأخوة والقربى بين المغاربة والإسبان ، واتحادهما عبر شخصية المعتمد بن عباد المتمثل في التراث المشترك بين العدوتين . صحيح أن المجلتين قامتا بـ«تصوير إيجابي للاستعمار الإسباني وتمثيل الحماية بوصفها فترة تعايش ، بل أخوة ، بين المغاربة والإسبان» ؛ ولذلك تعد المجلتين في نظر البعض «خلاصة استعمارية نموذجية» (Fernández Parrilla and Casielles 666). ومع ذلك ، لا أرى أن مجرد وجود تلك المجازات كافٍ لاعتبار المجلتين مواليتين للاستعمار ، فرمما جاءت معارضة الاستعمار في الخطاب المهيم وقتئذ من خلال تلك المجازات والإشارات المعنوية . فمثلاً ، اقترح الأديب والمترجم المغربي عبد اللطيف الخطيب في مجلة كتامة إحياء «التراث المشترك» بين المغرب وإسبانيا الذي «يسر التطور

الأدبي والعلمي لحضارتينا اللتين تعايشتا في إحاء لتقدُّم ميراثهما الغزير للثقافات الأوروبية الناشئة من خلال الثقافة الإسبانية الأصيلة» (ص ٢) . ويكرر الخطيب مبادئ الخطاب الاستعماري التي تتمحور حول الأخوة المبنية على الأندلس وتراثها المشترك، لكنه يقلب المنطق الاستعماري حين يؤكد أن الأندلس هي مصدر «الثقافات الأوروبية»، عبر ادعاء تفوقها على بقية ثقافات العالم خلال القرون السابقة . وسيوضح تحليلي السياق التاريخي العام والمحلي الذي يحدد معنى ورمزية تصوير الأندلس وما ينطوي عليه من مجازات ومصطلحات .

تبحث هذه المقالة - وازعة في حساباتها مركزية الخطاب الاستعماري في نتاج المجلتيين - مكانة الأندلس والأدب الأندلسي في مجلتي المعتمد وكتامة بشكل نقدي، كما تضع في حساباتها العديد من المقالات التي تحتفي بالأدب الأندلسي من جهة، والنصوص النقدية التي تسائل أهمية الأدب الأندلسي وتأثيره في الأدب المغربي من جهة أخرى . والنصوص النقدية باللغة العربية من تأليف كتاب مغاربة، أما المقالات الاحتفائية فمكتوبة بالإسبانية، في أغلب الأحيان بأقلام مستشرقين إسبان . وسأقوم بتحليل المقالات الاحتفائية والنصوص النقدية متبعة آلية «القراءة بالتوازي» "reading together" التي اقترحتها كريمة لعشير لقراءة روايات مغربية معاصرة باللغتين الفرنسية والعربية بالتوازي (انظر/ي Laachir) . تبدو «القراءة بالتوازي» بمثابة آلية لقراءة روايات مغربية مكتوبة بلغات مختلفة وكأنها تنتمي إلى عوالم أدبية لا علاقة لها ببعضها البعض، ولكن لعشير تؤكد أنها تشارك السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي والسياسي الذي تنبثق منه، ولذا فمهما اختلفت لغة الكتابة، تلقي القراءة بالتوازي ضوءاً على خصوصيات التراث الأدبي المغربي المشترك . وبينما يتعلق اقتراح لعشير بالروايات المغربية مابعد الاستعمارية، فقد صدرت مجلتا المعتمد وكتامة في العصر الاستعماري، وينتج عن هذا التباين اختلافان رئيسيان : أولهما أن اللغتين العربية والإسبانية تنتمي إلى ثقافتين في علاقة غير متساوية بسبب الوضع الاستعماري، وثانيهما أن العربية والإسبانية تنتمي إلى أدبين ذوي تراث أدبي وجغرافية أدبية وثقافية وسياسية خاصة؛ فمثلاً، تشكل الآداب العربية وتراثها إطاراً بارزاً للنصوص العربية . وهذا الاختلاف الثقافي واضح في النصوص التي سأحللها في هذه المقالة، لأن أغلب من كتبها مستشرقون إسبان ومرجعيتهم إسبانية . ولكن تتضمن المجلتيان

أيضاً قصصاً لمجموعة كاتبات إسبانيات نشأن في المغرب أو استوطن فيه ، وليس أدبهن إسبانياً خالصاً ، سواء من ناحية المحتوى أو الشكل ؛ ومن ثم ، لا يتضح فيه الانتماء الثقافي كما هو الحال في المقالات التي سأحللها . تفيد آلية « القراءة بالتوازي » في تحديد الاختلافات بين المقالات الإسبانية والنصوص العربية ، وكذلك العوامل المشتركة بينهما على مستوى الآليات والمجازات ، وأهمها تصوير الأندلس وأدائها بشكل مثالي ، وتكوين خطاب « استثنائية تاريخية » للبلدين والأدبين الإسباني والمغربي . فضلاً عن أن الكتاب المغاربة والإسبان يستحذون على الأندلس والأدب الأندلسي استحواذاً يظهر سياسات النفوذ لدى الأندلس ، أي نقل النفوذ ورفع المقام لدى الأندلس إلى الثقافتين الإسبانية والمغربية الحديثتين .

تبدأ المقالة بتحليل الكتابات الاحتفائية بالإسبانية والنصوص النقدية بالعربية ، وبيان الأبعاد والأساليب المحلية والمناطقية الخاصة بكل من إسبانيا والمغرب ، معتمدةً على مفهوم « موقع الأدب » « location of literature » (انظر/ي Orsini and Zecchini) والتاريخ (انظر/ي Freitag and Oppen) ، من أجل تمييز العوامل والمعاني الخاصة ذات الصلة في سياسات النفوذ لدى الأندلس . تتضمن أغلب مقالات الاحتفاء بالشعر الأندلسي نبذاً تفسيرية تشدد على « إسبانية » الأندلس ، وتصورها بوصفها منتهى الحضارات . وكما سيظهر فيما بعد ، يتعلق هذا بمعارضة الإهانة الأوروبية الموجهة إلى إسبانيا في سياق التنافس الإمبريالي منذ القرن التاسع عشر ، وبالمركزية التي حصلت عليها الأندلس في الثقافة والعلم ومجال الاستشراق والسياسة الإسبانية ، وفي تحديد هويتها الاستعمارية والوطنية والمناطقية أيضاً . ومن جهة أخرى ، تحتفي النصوص النقدية العربية بالأندلس ومجد الأدب الأندلسي و« مغربيته » ، كما سيظهر فيما بعد ، بهدف معارضة التقليل الاستعماري من شأن الأدب المغربي وزعزعة مركزية المشرق في النقد الأدبي العربي ، وكذلك تقوية المكانة الراسخة الخاصة بما يتعلق بالأندلس في أنحاء المغرب ، والمغرب الأقصى على وجه التحديد . كما توظف المقالات الإسبانية والنصوص العربية التاريخ والأدب الأندلسيين المزهريين بوصفهما إلهاماً للمستقبل . ويتشارك البلدان مبادئ مهمة رسخها التصوير المثالي للأندلس ضمن أفتقهما الأوروبي والعربي . فالتصوير المثالي والاستثنائي للأندلس يرفع المكانة الحضارية والثقافية والأدبية في كل من المغرب وإسبانيا . وهو ما يرتبط بمفهوم « الحياة الأخرى للأندلس » (انظر/ي Civantos) ، أي استحضر الأندلس للدفاع

عن أنماط اجتماعية وسياسية معينة لا علاقة لها بالأندلس ذاتها ، لأغراض وطموحات حاضرة تحوّر تصوير الماضي الذي يزداد تنوع استعمالاته بسبب قوة سياسات نفوذه .

ومع ذلك ، لا تشترك المقالات الإسبانية والنصوص العربية في مجرد مسألة إستراتيجية ظاهرة في تصوير الأندلس واستحضارها فحسب ، بل تشتركان أيضاً في مفهوم تاريخي مبني على الدائرية ؛ وذلك على عكس الوعي التاريخي المباشر والغائي الذي تطور في ثقافات وقوى استعمارية حديثة أخرى . وكما أوكد في الملاحظات الختامية ، ينتج هذا المفهوم عن التاريخ المشترك والاندلس ، إذ بغض النظر عن تشديد الخطاب الاستعماري على الاشتراك في التاريخ ، فالحقيقة أن التاريخ ليس مفعولاً فقط بل فاعل أيضاً ، حيث ينطوي على قدرة تكوين المفاهيم ، كمفهوم التاريخ ذاته . فبعد تحليل النصوص الإسبانية والعربية ، كل على حدة ضمن سياقها الخاص ، أناقش مفهوم التاريخ الدائري ومعناه بالنسبة إلى العلاقة بين التاريخ والأدب . كما أناقش كذلك السردية النهضوية المهيمنة بشأن رفضها للماضي وإنكار أهمية الأدب ما قبل القرن التاسع عشر بحجة أنه «تقليدي» ومناقض لما في المغرب من شعر أندلسي مزدهر يعدّ نمطاً مثالياً وإلهاماً نهضوياً .

مع مرور الأعوام ، وبخاصة بعد عام ١٩٥٣ (العام الذي نقل فيه مقر مجلة المعتمد إلى العاصمة تطوان و عام تأسيس مجلة كتامة في المدينة نفسها) بدأ عدد المشاركين المغاربة والعرب في الازدياد ، وأثر المفكرون المغاربة والأدباء العرب من المشرق ومهجر أمريكا الشمالية والجنوبية تأثيراً مهماً وملموساً للغاية ، إذ تغيّر التوجه الأدبي للمجلتين اللتين أصبحتا تهتمان بالأدب العربي المعاصر والشعر المشرقي المتجدد . ومنذ أوائل الخمسينيات ، بدأت المجلتان في نشر قصائد عربية معاصرة بالعربية في منتصف كل عدد ، بحيث صارت ترجمتها إلى الإسبانية ضرورية . لعب الشاعر والأديب التطواني محمد الصباغ ، المذكور أعلاه ، دوراً رئيسياً في تغيير توجه المجلتين ، وفي الوقت نفسه حل تدريجياً اهتمام بالشعر العربي المعاصر محل الاهتمام الأساسي بالأدب الأندلسي ، إذ تقلصت المقالات التي تحتفي بالأدب الأندلسي في مجلة المعتمد في مرحلتها الأولى ، بمرور الوقت ، نتيجة الاتجاه الجديد نحو الشعر المعاصر لأدباء مشرقين ومهجرين ، بالإضافة إلى المغاربة . ومن ثم ، كان ظهور الشعر الأندلسي والاحتفاء به في مجلة كتامة جد ضئيل . ولذلك ، أركز في معظم هذه المقالة على المقالات والنصوص المنشورة في مجلة المعتمد .

استشراق يركز على الشعر الأندلسي ويحتفي به ، واستحواذ إسباني على الحضارة الأندلسية النموذجية

اشتهر بين أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر التعبير : «تبدأ أفريقيا في جبال البيرنيه» ، الذي مثل فكرة منتشرة حينئذ مفادها انتماء إسبانيا رمزياً إلى أفريقيا : ثقافياً وتاريخياً وجغرافياً ، بل وعرفياً . كان للتعبير ، الذي نشأ في فرنسا ، بعد سياسي يتعلق بالتنافس الإمبريالي بين القوى الأوروبية ، حيث شكل التشديد على «أفريقية» إسبانيا إهانة وإذلالاً لها . كما عبر عن بداية توجه إسبانيا والبلاد الأوروبية نحو أفريقيا منذ القرن الثامن عشر ، إذ أخذ الاستعمار الإسباني في القارة الأمريكية يتدهور ، على حين ازداد الاهتمام والتركيز السياسي على المتوسط وبخاصة الشمال الأفريقي . وكلما انفتح باب النقاش حول أمور شمال أفريقيا ، انفتح من ثم النقاش حول تاريخ إسبانيا ومراجعة الاحتكاكات التاريخية بين عدوتي مضيق جبل طارق والأندلس (انظر/ي Alcantud) . كما حصلت الأندلس على مركزية غير مسبوقه في الثقافة والسياسة الإسبانيتين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين (انظر/ي Martin-Márquez) . وفي هذا الإطار ، خاض مفكرو إسبانيا ومؤرخوها وأدباؤها في نقاشات طويلة حول «الطابع الأفريقي» لإسبانيا الذي ينطوي عليه التعبير أعلاه . وتتعلق المبادئ التي ميزت مقالات الاحتفاء بالشعر الأندلسي ، التي تناولها بالتحليل لاحقاً ، بالبعدين المحلي والعالمي -الإمبريالي لمركزية الأندلس في إسبانيا الحديثة . بالإضافة إلى ذلك ، بدأ الوعي التاريخي الإسباني يتغير منذ القرن الثامن عشر باتجاه تضمين الأندلس بوصفها جزءاً من تاريخ إسبانيا ، على نحو لم يحدث في القرون السابقة . وثمة أجزاء من المجتمع ، ولا سيما القطاعات المسيحية المتطرفة منه ، رفضت قيمة الحضارة الأندلسية ، وأنكرت كون الأندلس جزءاً من تاريخ إسبانيا ، ومع ذلك اهتم عدد من المفكرين والسياسيين الإسبان بالأندلس اهتماماً كبيراً (انظر/ي Andreu Miralles) . وقد تجلّى ذلك بخاصة في القرن التاسع عشر ، حين عرفت البلاد انتعاشاً أندلسياً ، بدأ الاعتراف بأنه «وطني» تدريجياً ، في مجالات الأدب والفن وعلم الآثار والتراث . فأخذ أدباء أجانب ، كالأمريكي واشنطن إرفينج Washington Irving والفرنسي بروسير مريميه Prosper Mérimée وآخرين ، يصورون إسبانيا تصويراً نمطياً للغاية ، استناداً إلى عوامل أندلسية

استشراقية (انظر/ي García-Montón and García-Romeral). ووفقاً لإدوارد سعيد ، كان التصوير الاستشراقي أداة هيمنة سياسية تستند إلى التمييز بين «الشرق» و«الغرب» وكأنهما كائنان مختلفان أنطولوجياً ، وهو ما استخدمته القوى المهيمنة للسيطرة على كل ما يسمى بـ«الشرق» (Said, 2-3 Orientalism). ولا شك في أن إسبانيا لم تتعرض لنفس نوع أو درجة الإهانة والعنف اللذين تعرضت لهما البلاد التي استعمرتها القوى الأوروبية . على العكس ، استعمرت إسبانيا في العصر الحديث الشمال المغربي ، وهو الاستعمار الذي اتخذ اسم وشكل حماية (١٩١٢-١٩٥٦) ، بالإضافة إلى الصحراء الغربية (١٨٨٤-١٩٧٥) وغينيا الاستوائية (١٩٢٦-١٩٥٩) ، للمزيد انظر/ي (Aixelà Cabré ٤). ولكن يَهْمنا فَهْم منطِق الاستشراق هذا من أجل تحليل مكانة الأندلس في المقالات الإسبانية في مجلة المعتمد ، وبخاصة أن المستشرقين الإسبان لعبوا دوراً كبيراً في تكوين «شرق محلي» استناداً إلى التراث الأندلسي لإسبانيا (انظر/ي López García 6; Aziza).

وقد ظهرت المركزية التي حصلت عليها الأندلس في التاريخ والثقافة والأدب الإسباني الحديث كذلك في الخطاب الاستعماري كما ذكرت سابقاً . فشكّلت الأندلس أبرز مثال للتراث المشترك الذي دل عليه الدفاع عن «حقوق» إسبانيا «الجغرافية والتاريخية» . وخلال فترة الحماية ، وبخاصة أربعينيات القرن العشرين ، بذل النظام الديكتاتوري للجنرال فرانكو Franco جهداً دبلوماسياً كبيراً لتطبيع العلاقات الدولية بسبب انعزال إسبانيا عن القوى الغربية . وقد استهدف النظام الإسباني التقرب إلى البلاد العربية بشكل خاص ، فقدم صورة تجدد الأندلس ، وشدد على التعايش الديني والثقافي الذي ادّعى أن الأندلس تبرزه . واستناداً إلى ذلك الماضي المثالي ، تم تصوير إسبانيا المعاصرة بوصفها همزة الوصل بين الشرق والغرب (انظر/ي Hernando de Larramendi et al.; Calderwood 167-207) ، فاستخدمت مجلة المعتمد شعار النظام الإسباني حرفياً في تعريف المجلة : «المعتمد : همزة الوصل بين الشرق والغرب» (مجلة المعتمد ، الأعداد ٢٧-٣٠) ، مضيفة القول بأنها : «تُعنى بترجمة الروائع العربية والإسبانية» . كما صوّرت الأندلس بوصفها فترة تعايش وامتزاج ديني وثقافي (ولا سيما في الأعداد ٢١ و٢٢ و٢٣) .

تناولت مجلة المعتمد في صفحاتها الأولى خلال عاميها الأولين حياة المعتمد بن عباد وقصائده . فركزت هذه النوعية من المقالات على أحداث حياة الشاعر الحاكم ، وعلى خصائص شعره وشخصيته ، وكانت

أحياناً تُعيد نشر قصائد معينة له وترجمها (الأعداد ١-١٧، عدا ١٢ و١٥). كانت أغلبية تلك النصوص باللغة الإسبانية ولكتاب إسبان، رغم مشاركة كتاب مغاربة في كتابة بعضها. فمثلاً ترجم إدريس الديوري قصائد الأعداد الأولى من تلك الفترة، وأطلق على أندلس المعتمد بن عباد «مكة الأدب» ("Visión"). وفي أغلب الأحيان، بُنيت المقالات على أبحاث المستشرق الإسباني إميليو جارثيا جومث Emilio García Gómez (١٩٠٥-١٩٩٥) الذي شارك بالكتابة في المجلة لاحقاً، وكذلك على كتب المستشرق الهولندي راينهت دوزي Reinhart Dozy (١٨٢٠-١٨٨٣) الذي تخصص في الأدب الأندلسي في العصور الوسطى. فشكّلت رؤى هذين المستشرقين طابع المقالات حول حياة المعتمد بن عباد وقصائده المنشورة خلال المرحلة الأولى من مجلة المعتمد.

اتسمت المقالات حول المعتمد بن عباد بالتركيز على الحواس ورقة الجنائن والابتهاج في الألحان والرقص والمؤامرات الغرامية في حرم قصور الأندلس. وقيل في نص بلا توقيع إن للمعتمد بن عباد عشيقات عديدات، حيث «تسمح قواعد الحب في البلاد الإسلامية» بتلك التصرفات ("Ante"). وتم تصوير الأندلس في تلك المقالات الأولى بوصفها عالم الشهوة والرفاهية والمتعة والمغامرات المرغوبة والفاسقة في الوقت نفسه، حيث يتحكم الرجال في جواربهم. وبالإضافة إلى ذلك، تبدو الأندلس في أبحاث المستشرقين دوزي وجارثيا جومث بوصفها فردوساً حضارياً مناقضاً لوحشية المرابطين والموحدين الأفارقة والأمازيغ. وقد استندت مجلة المعتمد في بناء تلك الفكرة إلى المجازات الطبيعية المنقولة من دواوين بعض الشعراء الأندلسيين الذين هاجروا إلى المغرب أو حاربوا الجيوش القادمة من شمال أفريقيا، حيث توصف الأندلس بكثرة الخضرة والثمار المرتبطة بالجمال، في مقابل الصحراء الأفريقية وجفافها القاسي (مجلة المعتمد، ولا سيما العدد ١ و١١).

وقد أدى هذا التصوير المثالي والاستشراقي للأندلس إلى تجريد الأندلس من تاريخيتها، أي من انتمائها التاريخي إلى الأمة العربية والإسلامية في العصور الوسطى، وتصويرها بأشكال نمطية مبسطة قد تبتعد عن التركيبة التاريخية الخاصة بالأندلس، وهو ما أسمته مانويلا مارين بـ«اختطاف الأندلس» (Marín 8). وقد اتخذ هذا «الاختطاف» اتجاهات مختلفة عبر التاريخ وعبر قطاعات المجتمع الإسباني، تشمل تجريد الأندلس من طابعها

العربي والإسلامي ، أو قذفها كأنها لعنة تحرر منها الإسبان عندما سقطت في أيدي الملوك الكاثوليكين عام ١٤٩٢ ، أو تصويرها المثالي كما حدث - في أغلب الأحيان - في مجلتي المعتمد وكتامة اللتين ركزتا على مجاز الامتزاج بين الأديان الثلاثة وازدهار العلوم والآداب .

بالإضافة إلى بروز شخصية المعتمد بن عباد وشعره ، جاء الاحتفاء بالشعر الأندلسي عبر مناقشة تراجم قصيرة للشعراء الأندلسيين وقصائدهم العربية المنشورة باللغة الأصلية أو مترجمة إلى الإسبانية (مجلة المعتمد ، الأعداد ٩ ، ١١-١٢ ، ١٤-١٥ ، ١٨-٢١ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٩) . كتب معظم تلك المقالات عن الشعر الأندلسي مستشرقون إسبان يقطنون في إسبانيا ، وبينما ترجم بعضهم الشعر في مقالاتهم ، استند البعض الآخر إلى ترجمات جاريثا جومث . وهكذا ، استمتع القراء بنبذة عن حياة ابن زيدون وقصيدته حول عشقه لولادة بنت المستكفي ، الأميرة والشاعرة القرطبية الشهيرة (انظر/ي "García Gómez, "Ben Zaydun") ، وكذلك بشعر أشهر شعراء الزجل في الأندلس ابن قزمان (انظر/ي "García Gómez, "El zéjel") ، وقصيدة ابن اللبانة حول المعتمد وعائلته (انظر/ي "García Gómez, "Ben al-Labbana") ، وبالإضافة إلى قصيدة عن النفس للشاعر أبي علي الحسين بن عبد الله بن سناء (انظر/ي Cruz Hernández) .

ركزت تلك المقالات على القصائد والبعد الشعري أكثر من المقالات حول المعتمد بن عباد ، وكانت أقل منها استشراقية في صورها وأحكامها . ومثل الشعر الأندلسي فيها نموذجاً لجميع المجتمعات المعاصرة على أساس قيمته الجمالية ومحتواه . فقليل مثلاً : «لم يكن قط الرجل الغربي يود أن يكون له علاقة بالشعر العربي كما هو الحال اليوم ، فهو يميل إليه ويتذوقه كما لو أن جميع ينابيع خياله وأحلامه قد جفت» (García Gómez, "Poesía") . كذلك وردت أشعار وترجمات لكل من ابن شهيد القرطبي وابن فراج الجياني وأبو بكر الطرطوشي الذين عبروا عن «ثلاثة أنواع من الحب : الوصال والامتناع وضياح الحبيب» (García Gómez, "Poesía") . لقد عُدَّ الشعر الأندلسي ، هنا ، نموذجاً مطلقاً لجميع الثقافات والعصور .

يقتضي تصوير الأندلس بوصفها «مكة الآداب» وإلهاماً نموذجياً منصرماً وجود تقدّم حضاري وأدبي عربي في الماضي ؛ وكما بيّنت الدراسات مابعد الاستعمارية منذ بضعة عقود ، يقتضي التركيز على الماضي عدم حضور ثقافي في الحاضر . وبالفعل ، كانت المقارنة بين الازدهار الأندلسي والانحطاط

المعاصر لبدايات الاستعمار الإسباني في القرن التاسع عشر (انظر/ي Murga في مجلة المعتمد تكشف كذلك عن اتجاه منتشر بين المستشرقين الإسبان منذ أواخر القرن التاسع عشر يستهدف إبراز العنصر الإسباني للأندلس أكثر من أي عنصر ثقافي آخر . وقد كان جعل الأندلس «إسبانية» طريقةً لشرعنة مهنة الاستشراق التي لم تحظ بتقدير في إسبانيا كالذي حظيت به في بلاد أوروبية أخرى (Marín 3) . وبخلاف هذا البعد المحلي ، أضفى الاستحواذ على حضارة مزدهرة ونموذجية قيمةً على الثقافة والتاريخ الإسبانين اللذين أهانتهم القوي الأوروبية ، وبخاصة البريطانية والفرنسية ، منذ عقود عديدة كما ذكرنا سابقاً . ومن ثم ، يمتد التصوير المثالي والنموذجي للأندلس واستحواذها الإسباني منذ ازدهار الحضارة الأندلسية - المنسوبة الي إسبانيا أكثر من أي شيء آخر - إلى إسبانيا المعاصرة ، أي إن هذا التصوير يمكن امتداد سياسات النفوذ من الماضي (الأندلسي) إلى الحاضر (الإسباني) .

تخلط مقالات عديدة بين محافظة «أندالوثيا» Andalucía الإسبانية المعاصرة و«الأندلس» ، كما فعل جارثيا جومث في كتابه المهم والمؤثر في مؤلفي مقالات المجلة ومستشريقي إسبانيا عامة ، وعنوانه الشعر العربي-الأندالوث . ورغم عدم وجود شك في أن الأندلس هي أصل اسم المحافظة الإسبانية المعاصرة ، فلم تقتصر بلاد الأندلس على منطقة «أندالوثيا» ، ولا حتى على حدود إسبانيا المعاصرة .^٥ ويؤكد الشاعر إلابيو سوس أن شخصية المعتمد بن عباد التاريخية والأدبية لا يمكن فهمها إلا باعتباره «أندالوثي» الهوية أكثر من «انتمائه إلى الأعيان وأصله العربي» (Sos) . ووفقاً لسوس - وهو من أبرز المشاركين بالكتابة في المجلتين - فالعامل الرئيسي في تحديد شخصية الشاعر والحاكم الأندلسي هو أصوله في «أراضي الأندلس المثمرة» التي «رفضت كل أنواع التغيير والتحول التاريخي والعالمي خلال ستة آلاف عام» . يدعم امتداد النفوذ من الماضي إلى الحاضر الذي أشرت إليه سابقاً فرضية عدم التغير التاريخي التي يطرحها سوس ، وهي في حد ذاتها مجاز مغرق في الاستشراقية .

كما يتجاوز جعل الأندلس «إسبانية» مجال الثقافة والاستشراق الإسباني ، إذ أحياناً ما يرتبط هذا الاستحواذ عند بعض المؤلفين الأصليين من منطقة «أندالوثيا» بالدفاع عن الهوية الخاصة للمنطقة ، التي تطورت خصوصاً في أوائل القرن العشرين ، والتي قامت على مثالية التعايش الديني

والتسامح الثقافي المنسوبة إلى الأندلس (Calderwood 116-41). إذ قيل في مناقشة بمناسبة إصدار أول ترجمة إسبانية لطوق الحمامة لابن حزم: «ألسنا أندالوثيو الخلافة في قرطبة . . . نفس أندالوثيو اليوم وإن لم نلبس ثيابهم ولا ننطق بمستعربتهم؟» (Cano 5).

ولعل أفضل مثال على التصوير النموذجي وتكوين خطاب الاستثنائية التاريخية للأندلس واستحواذها الإسباني مقالةً للأديبة كارمن مارتين دي لا إسكاليرا Carmen Martín de la Escalera (انظر/ي "Hafsa") حول الشاعرة الغرناطية حفصة بنت الحاج الركونية (1135-1191). كانت مارتين دي لا إسكاليرا ابنة مهندس عسكري إسباني استقر في المغرب، وترت في مدينة تطوان، على عكس أغلب مؤلفي مجلة المعتمد ومستشرقها. بدأت الكتابة في مجلة المعتمد بعد نشر مجموعتها القصصية فاطمة Fatma الذي امتلأ تصويرها للمغربيات فيه بالعنف الرمزي، وفقاً لتعبير ياسمينا روميرو مورالس (انظر/ي Romero Morales)، رغم أنها تنتمي إلى مجموعة كاتبات إسبانيات يتبنين «أنماطاً روائية وأدبية شرقية» (Abrighach 38). ففي مقالتها «حفصة الغرناطية»، تؤكد مارتين دي لا إسكاليرا أن حفصة الركونية - «الشاعرة المهفة المنمّقة» - ابتعدت عن الشعر العربي التقليدي كي «تنال قدراً معتبراً من التميز والإنسانية في أسلوبها» (6 "Hafsa"). توضح الأديبة الإسبانية أن «حياة» [الشاعرة] الغرامية كانت مليئة بالنجاحات والصراعات الغرامية الخطيرة» (6)، كما تعيد نشر قصيدة ألفتها حفصة الركونية لأبي جعفر بن سعيد (ت. 1163) في ترجمتها إلى الإسبانية من الفرنسية:

أغار عليك من عيني رقيبى ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أني خباتك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني. (6)

تتفق استشرافية رواية مارتين دي لا إسكاليرا لحياة حفصة الركونية والخطورة التي تصف بها حياة الشاعرة الأندلسية مع أصوليتها الثقافية البادية في عدة مقالات نشرتها على حلقات تحت عنوان «ذكريات» حول طفولتها بتطوان (مجلة المعتمد، الأعداد 21-24)، حيث أكدت أن «المغرب انفتح بالنسبة لي كما يفتح كتاب قصص وهمية» ("Recuerdos", Martín de la Escalera). وعدا الاستشرافية في تصويرها للأندلس والمغرب المعاصر، تصيف في مقالتها «حفصة الغرناطية» أن مسقط رأس حفصة الركونية كان «مهده أكبر عدد من

المسلمات الإسبانيات المتميزات بمواهبهن الأدبية وجمالهن» (6 "Hafsa") ، بما يظهر «الحرية التي تمتعت بها المسلمات الإسبانيات» (7) . تنبثق الأندلس هناليس فقط بوصفها مهداً للمؤامرات الغرامية ، بل فردوساً نسائياً بناه أسلاف الإسبان وعاشوا فيه . هذا التصوير يجرد الأندلس من تاريخيتها ، إذ لم يكن وضع النساء في الأندلس موحداً ، وإنما اختلف حسب مكاتهن الاقتصادية والاجتماعية ، إلخ . ويتفق هذا التصوير الذي تقدمه مارتين دي لا إسكاليرا مع ما تسميه ابتسام بوعشرين «الأساطير الخطيرة» "dangerous myths" ، التي تهدف إلى معارضة التصوير المهيمن للأمة الإسلامية بوصفها مهبطاً دائماً للتطرف والذكورية ، والتي تصور الأندلس بوصفها عالماً إسلامياً أسطورياً ومثالياً ومتحرراً (انظر/ي Bouachrine) .

ما هو لافت للنظر أن بوعشرين تنتقد روايات المؤلفات النسويات العربيات والمسلمات المعاصرات - وربما يأتي نقدها حاداً للغاية في بعض الأحيان - في الوقت الذي تقوم فيه أديبة إسبانية بالاحتفاء بحرية «المسلمات الإسبانيات» وفق عملية التصوير المثالي النسوي للأندلس . وهذا يعني إمكان الاستحواذ على الأندلس من قبل نسويات متعدّدات لأهداف مختلفة ، سواء كنّ عربيات أو إسبانيات . ولذلك ، يتيح التحليل الذي أقترحه التفريق بين العوامل المحلية والمناطقية الخاصة بالمقالات الإسبانية من جهة ، وبين الآليات والمجازات التي سنتبين ، فيما بعد ، أنها مشتركة مع النصوص العربية من جهة أخرى . إذ سنرى في الملاحظات الختامية - وفي صلب اشتراك كل من المقالات الإسبانية والنصوص العربية في العمليات الإبيستيمولوجية الخاصة بالاستثنائية التاريخية واستحواذ الأندلس - إمكان طرح مفهوم تاريخي مبني على الدائرية ، التي تتيح رفضاً للنظرية الحديثة القائلة بأصولية الثقافة . وفي إطار هذا المنطق ، لا يكون الماضي تقليدياً بمعناه السلبي بل يظهر متحضراً ، سواء من المنظور النسوي كما ورد أعلاه ، أو الأدبي النهضوي الذي سنتطرق إليه في القسم التالي .

الاستثنائية التاريخية المغربية والأدب «الأندلسي-المغربي» :
قمة النهضة الأدبية العربية

ورثت عن أمك الحسن الذي غمرت
أنواره مغرباً ، لم تنس أفاقاً

فتاة أندلس (تطوان) مغربنا
أدامك الله للملوسع تريباقاً . (البوعناني ، ص ٩)

وتعكس قصيدة الشاعر المغربي محمد البوعناني (المولود عام ١٩٢٩ ، انظر/ي «محمد البوعناني») بعض المبادئ المهمة التي سأسنتنها من تحليل نصوص المشاركين المغاربة في المجلة . يخاطب الشاعر «ابنة الأندلس» ، وهي مدينة تطوان والمغرب كله - كما يتضح من استخدامه للقوسين - التي ورثت حسن أمها «الذي غمرت أنواره» ليس مغرباً فحسب ، بل حتى أقصى الآفاق . تشير «أنوار» الأندلس إلى قيمتها الحضارية التي امتدت إلى وارتتها تطوان/المغرب . وتعتبر لغة القرابة عن انتقال ازدهار الأندلس الحضاري إلى المغرب ، بما يتماشى مع لغة الخطاب الاستعماري الذي يدعي أخوة الشعبين المغربي والإسباني على أساس تاريخهما المشترك . ولكن بالإضافة إلى ذلك ، هناك أبعاد محلية ومناطقية خاصة بالعالم العربي لعبت دوراً مهماً في تكوين مبادئ قصيدة البوعناني ولغتها ، و كذلك في النصوص النقدية التي سأحللها فيما بعد .

فمنذ أواخر القرن الثامن عشر ، أحييت التغييرات التاريخية الإمبريالية عامة ، والتحرش الاستعماري الإسباني خاصة ، الخطابات المغربية القديمة حول الأندلس وسقوطه . لقد اتسمت ذاكرة الأندلس في شمال المغرب بكل من الاشتياق إليه وكرهية سقوطه المأساوي من دار الإسلام ، وبخاصة تطوان التي أسستها جاليات أندلسية هاربة من الهجوم عليها أواخر القرن الخامس عشر (Benaboud et al. 12-16) . كان موقع شمال المغرب على حدود شبه الجزيرة الأيبيرية ، والإحساس المتزايد بالخطر في ثغري سبتة ومليلية أيضاً ، وكذلك خطاب الجهاد ضد «أهل الأندلس» ، كما أطلق عليهم جزء من المغاربة الإسبان حتى زمن قريب ، هو ما شكل مصدر شرعنة سلاطين المغرب وأعيانه منذ قرون (Bennison, Jihad 29) . كما زادت الإجراءات العسكرية التي حدثت في مضيق جبل طارق وقت الحروب النابوليونية (١٧٩٥-١٨١٥) من إحساس المغاربة بالاعتداء (Bennison, Jihad 31 and "Liminal States" 25-26) . وعظم سقوط الجزائر تحت الغزو الفرنسي عام ١٨٣٠ الشعور المغربي بالتهديد الأوروبي ، كما أعلى من شأن التيار الجهادي في البلاد (Kenbib 48-49) .

لم يكن حنين المغرب إلى الأندلس ، وفي شمال البلاد خاصة ، مسألة ترتبط بالذاكرة والماضي فقط ، إذ شكلت تلك الأفكار الراسخة بدورها المجتمع والثقافة والسياسة المغربية أيضاً . فمنذ زمن بعيد ، انقسمت المدن المغربية بين «مدن المخزن» - أي مواقع الحكومة المغربية أو الجيش - مثل طنجة والعرائش والصبويرة ، و«مدن حضارية» - أي مواقع العلم والحضارة - مثل فاس والرباط وسلا وتطوان (El Mansour 10) . كان العديد من العلماء والتجار المنحدرين من أصل أندلسي يسكنون المدن الحضارية ، وكان للأصل الأندلسي معنى في تحديد الهوية الحضارية للمدن ، وكذلك الجاه والهوية الطبقية داخل كل مدينة حضارية . في تطوان - وهي مدينة حضارية أسسها أندلسيون - كان الأعيان والطبقة العليا من عائلات أندلسية الأصل (السعود ، ص ص ٧٨-٧٩) ، كما انحدرت نخبة المغرب الثقافية والاجتماعية والسياسية من أصل أندلسي أيضاً . هذا يعني أن للأصل الأندلسي جاهاً ورفعة مقام يعودان إلى ما قبل الحماية الإسبانية على البلاد بكثير . كما كان ذلك الجاه الراسخ الخاص بكل ما يتعلق بالأندلس قائماً في بلاد أخرى في الغرب الإسلامي (انظر/ي 15 Lazreg; Epalza and Slama-Gafsi) . وكذلك كان لليهود من أصل سفاردي أندلسي سمعة حضارية تختلف عن اليهود التوشاييم ، أي اليهود الذين عاشوا في المغرب منذ زمن قديم . ورفعة المقام المتعلقة بالأندلس والمغاربة من ذوي الأصل الأندلسي هي عنصر مهم يجب وضعه في الحسبان عند تقييم استحضار الأندلس في النصوص العربية المنشورة في مجلتي المعتمد وكتامة .

ومن أبرز المسائل التي تناقشها النصوص النقدية العربية حالة الأدب المغربي المعاصر . وكان أول المفكرين المغاربة الذين ناقشوها العالم الكبير عبد الله كَنُون المذكور في بداية هذه المقالة . يُعدُّ كَنُون رائد التاريخ الأدبي المغربي الحديث ، وقد ألف كتابه الضخم النبوغ المغربي في الأدب العربي (١٩٣٨) قبل مشاركته في مجلة المعتمد بعقد من الزمان . ويسهّل إيضاحه لأهداف كتابه فهُم البعد المناطقي لمعاني الأندلس وسياسات نفوذه فيما يتعلق بالأدب . يقول كَنُون في طبعة كتابه الثانية :

كان مقصودي الأهم من تأليفه ، هو بيان اللبنة التي وضعها المغرب في صرح الأدب العربي الذي تعاونت على بنائه أقطار

العروبة كلها، وذكر الأدباء المغاربة الذين لم يقصروا عن إخوانهم من المشاركة ومغاربة بقية أقطار المغرب العربي في العمل على ازدهار الأدبيات العربية على العموم. (ص ٧)^٦

أظهر كُنُون مكانة المغرب في تاريخ الأدب العربي العام وإسهامه فيه في كتابه ومقالاته المنشورتين في مجلة المعتمد. ويخص عمله كتابة تاريخ الأدب العربي من المنظور المغربي الذي شكل هامشاً في السردية النهضوية، حيث نتجت النهضة الثقافية والفكرية والأدبية العربية الحديثة عن صلة المشاركة والأوروبيين - وبخاصة البريطانيين والفرنسيين - خلال القرن التاسع عشر. رسخت السردية النهضوية فكرة المشرق بوصفه المركز الجغرافي للحدثة الأدبية العربية، ومن ثم نوعاً من الجمود الأدبي المغربي وعدم نهضته الحديثة. ولذلك لعب التاريخ دوراً مهماً في معارضة فكرة جمود الأدب المغربي، إذ عززت الأندلس دور المغرب المهمّش في السردية النهضوية بإدخال نسب تاريخي له يمتد من الأدب الأندلسي في الماضي إلى الأدب المغربي في الحاضر.

كتب كُنُون في مجلة المعتمد بعض القصائد والقصص القصيرة، بالإضافة إلى مقالتين نقديتين ترجمهما إلى الإسبانية إدريس الديوري. كان عنوان أولاهما «نهضة الشعر في المغرب» (العدد ١٢، د. ص.). ونشرت عام ١٩٤٨، بينما انتمت ثانيتهما إلى قسم «في البحث عن الشعر المغربي الفتى» (العدد ١٩، د. ص.). ونشرت عام ١٩٤٩. ولعل وجود قسم بعنوان «في البحث عن الشعر المغربي الفتى» (الأعداد ١٨-٢٤) يعطي فكرة عن موقف المجلة من الشعر المغربي الحديث، وبخاصة إذا قارنا هذا القسم بقسم آخر تحت عنوان «خلاصة قصيرة عن الشعر الإسباني المعاصر» (الأعداد ١٧-٢٣): حيث يتبدى هنا وجوب «البحث عن» الأدب المغربي «الفتى»، على حين يحتاج الشعر الإسباني إلى «تقليص»، وهو ما يشير إلى غزارته. تسفر مقالتا كُنُون عن الآليات المختلفة التي يستخدمها لدحض كل من التقليل الاستعماري من شأن الأدب المغربي المعاصر والمركزية المشرقية في النقد الأدبي العربي الحديث المبني على السردية النهضوية، والأهم في سياق هذه المقالة هو تركيز كتاباته على دور الأندلس.

كان قسم «في البحث عن الشعر المغربي الفتى» يهدف إلى استطلاع سبب البرود المغربي الذي قوبلت به المجلة. وردّ كُنُون بأنه ناقش أسباب

عدم اهتمام الناس بالشعر ، «الكتاب والأدباء من عهد الجاهلية إلى الآن» ، ملاحظاً أنها مسألة ذات تاريخ وجغرافيا واسعين («في البحث») . وبشكل مشابه ، وإن بلغة أكثر صرامة ، انتقد المفكر التطواني محمد بن عزوز حكيم «المنطلق الخاطيء» للاستطلاع ، مؤكداً أنه ناتج عن «الجهل أو سطحية معرفة» الإسبان بالأدب المغربي العربي (Ibn Azzuz Haquim 10-11) . عارض كُتُون - ومثله ابن عزوز حكيم - التفوق الأدبي الإسباني ، منتقداً بشكل مباشر أو غير مباشر الفكر والحكم الاستعماري . كما أشار كُتُون إلى أن الشباب المغربي «اليوم في أزمة فكرية من هذه الصعوبات التي يلاقيها في طريق تثقيفه وإعداد نفسه لمعركة الحياة ، وكلما استقر مستقبل الشباب ، كثر إقباله على مائدة الفن والأدب وتنقل بالشعر الذي لا يطيب الأنس إلا عليه» («في البحث») . وأشار المفكر المغربي إلى الاستعمار بوصفه سبب «الأزمة الفكرية» والمعاناة لدى الشباب المغربي ، التي أدت بدورها إلى عدم اهتمامه بالشعر . نقد مشابه للتربية الاستعمارية والصعوبات المادية الناتجة عن النظام الاستعماري يظهر في مقالة كُتُون الأولى ، حيث اقترح أن المغرب سيتقدم في نهضة شعرية «يوم يدرك الشعب بغيته ويحقق أمنيته من نهضته السياسية والاجتماعية الراهنة» («نهضة») . يرى كُتُون ، إذن ، أن المغرب سيبنى نهضته الأدبية بعد تغلبه على الأزمة المرتبطة بالاستعمار . وبذلك وضع كُتُون طموحاته على المستقبل الذي سيشهد هذا التحرر .

كذلك اقترح كُتُون أسماء شعراء عرب على المجلة لكي تترجم أعمالهم إلى الإسبانية . فنراه يكتب على سبيل المثال عن

شاعر موهوب حقاً ، سبق زمانه بكثير ، لا بالنسبة إلى المغرب فقط ، بل بالنسبة إلى العالم العربي أجمع ، وهذا هو أبو القاسم الشابي ، الشاعر التونسي الذي . . . جاء منه شاعر عاطفي ممتاز راد أودية الخيال وأسمع الأرواح الهامدة أنشودة البعث والنشور . («نهضة»)

وذكر كذلك أحمد شوقي وعباس محمود العقاد وعلي محمود طه وأنور العطار وميخائيل نعيمة ، «وغيرهم ممن يعرضون في شعرهم فناً جديداً ومعاني أكاراً لم يسبق للعربية عهد بأمثالها» («نهضة») . وأخذت مجلتنا المعتمد وكتامة بنصيحة كُتُون ، فنشرنا قصائد هؤلاء الشعراء بالعربية وترجمتها إلى

الإسبانية . وكما ذكرت من قبل ، كان كُتُون والصباغ ومشاركون عرب آخرون مثل أحمد شواقي ، السوري المستوطن بشيلي ، ممن شجعوا التوجه الجديد في المجلتيْن اللتين بدأنا بالتركيز على نشر وترجمة شعر أدباء معاصرين من المشرق والمهجر ، ابتداءً من : جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة (مجلة المعتمد ، العدد ٢٦ ؛ مجلة كتامة ، العدد ٦) ، سعيد عقل (مجلة المعتمد ، العدد ٢٧ ؛ مجلة كتامة ، العدد ٢) ، إيليا أبو ماضي (مجلة المعتمد ، العدد ٣٢ ؛ مجلة كتامة ، العدد ٧) ، فدوى طوقان (مجلة المعتمد ، في العددين ٢٧ و ٣٠ ؛ مجلة كتامة ، العدد ٦) ، رياض معلوف (مجلة كتامة ، العدد ٤) ، أسيس فارس (مجلة كتامة ، العدد ٥) ، شفيق معلوف (مجلة كتامة ، العدد ٩) ، وآخرين . اقترح كُتُون ، قبل الصباغ وشواقي وآخرين ، أسماء كبار الأدباء في الأدب العربي ، وكان أغلبهم أدباء مشرقين ومهجرين . في هذا السياق ، أصبحت الرؤية التاريخية جد مهمة للتشديد على مكانة المغرب في الأدب العربي العام ، التي كانت - في رأي كُتُون - غير معترف بها إلى حد كبير ، وهو ما ندد به في كتابه الشهير النبوغ المغربي في الأدب العربي . أكد كُتُون أن النهضة المغربية المعاصرة راسخة بـ«تاريخ أدبي [مغربي] مجيد» من ناحية ، وبـ«نهضة أدبية عامة في البلاد العربية التي المغرب جزء من أهم أجزائها» من ناحية أخرى («نهضة») . كما أشار إلى خصوصية التاريخ الأدبي المغربي مقارنةً ببقية البلاد العربية : «لقد عبر زمان لم يبق فيه من يخدم دولة "أبولو" في العالم العربي ، وخصوصاً أيام حكم الأتراك ، إلا جنود مخلصون من أبناء المغرب العزيز» («نهضة») . يقترح كُتُون وجود انحطاط أدبي عربي في العصر العثماني ، وهو ما ذكره العديد من الأدباء المهجرين ، وأسماء جرجي زيدان بـ«عصر الانحطاط» (ص ١٠٧٨) . فلا شك أن كُتُون يبني نوعاً من الاستثنائية التاريخية المغربية ، حيث يشكل «أبناء المغرب العزيز» أدباء استثنائيين مقارنةً بأدباء بقية الأقطار العربية . وترتكز تلك الاستثنائية التاريخية على معارضة مركزية المشرق في النقد الأدبي العربي وعدم اعترافه بأدب المغرب الأقصى . يمكننا القول بأن كُتُون أعاد كتابة سردية تاريخ الأدب العربي بالاستناد إلى خطاب استثنائية تاريخية مغربية . في عام ١٩٥٤ ، أجرت مجلة المعتمد استطلاعاً عن تأثير الأدب الأندلسي في الأدب المغربي (العدد ٢٧ ، ص ص ٦-٧) . كان الاستطلاع منشوراً باللغة العربية فقط ، وأجاب عن أسئلته ثلاثة مثقفين مغاربة مهمين ، هم : محمد عزيبان (المولود عام ١٩١٢) ، ومحمد بن تاويت (١٩١٧-١٩٩٣) ،

ومحمد المنتصر الكتاني (١٩١٤-١٩٩٨) . عمل عزيمان وابن تاويت في أهم المراكز الثقافية بعاصمة الحماية الإسبانية تطوان ، وشاركا أيضاً في المؤسسات التربوية المغربية بعد استقلال البلاد (Calderwood 279) . أما المنتصر الكتاني ، فكان عالماً ومترجماً ، وهو حفيد العالم الفاسي الكبير أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني (انظر/ي «الكتاني» ، وعن جده Bazzaz) .

تكشف طريقة طرح سؤال الاستطلاع - هل كان للأدب الأندلسي تأثير على الأدب المغربي؟ - عن المنطق المبني عليه ، وهو أن التأثير ، إن كان موجوداً ، فقد حدث من العدوة الشمالية (أي الأندلسية) في الجنوبية (أي المغربية) ، بما يعني أن الأدب الأندلسي فاعل ، في مقابل المغربي المستسلم لتأثيره . كان عزيمان واعياً بتحيز هذا المنطق ، فبدأ إجابته بالإشارة إلى أنه «إذا تكلمنا عن التأثير والتأثر ، فإننا نفترض وجود شيئين مختلفين ، أحدهما مؤثر والآخر متأثر» (ص ٦) . وفي رأيه ، هذا المفهوم «يصعب تطبيقه على الأدب الأندلسي والأدب المغربي» ، لأن «الأدب الأندلسي ليس شيئاً غريباً عن الأدب المغربي حتى نسأل عن تأثيره أو عدم تأثيره فيه ، بل كلاهما امتداد للآخر وشرط منه سواء أقام في هذه العدوة أو في تلك العدوة» (ص ٦) . وفي آخر المطاف ، ووفقاً لعزيمان :

الحضارة المغربية الأندلسية بصفة عامة إنما هي في الواقع شيء واحد ، فهنا وهناك أمة واحدة من العرب والبربر والأيبيريين ذابت في الحضارة العربية الإسلامية وامتزج بعضها ببعض واشتركت في إقامة حضارة واحدة . . . مركزها في قرطبة كما كان في مراكش ، وكان في غرناطة كما كان في فاس . (ص ٦)

يعبر عزيمان ، إذن ، عن استحالة تطبيق مفهوم تأثير الأدب الأندلسي في المغربي على أساس أنهما ينتميان إلى الحضارة نفسها ، وهي حضارة مشتركة بين عدوتي مضيق جبل طارق ، رغم أن «اسم الأندلسية قد غلب على هذه الحضارة المشتركة لأنها بلغت في الأندلس ما لم تبلغه في المغرب من الكمال والازدهار» (ص ٦) .

برر عزيمان ادعاءه بكون الحضارة «الأندلسية-المغربية» حضارة واحدة استناداً إلى ثلاث أطروحات تاريخية ، هي : قيادة المغرب في فتح شبه الجزيرة الأيبيرية وقيام حضارة مشتركة أولاً ، ومشاركة حكام وعلماء وأدباء العدوتين

وتنقلهم بينهما ثانياً ، وبقاء الحضارة الأندلسية على قيد الحياة في المغرب بعد سقوط الأندلس ثالثاً . يقول العالم التطواني إن «المغاربة هم الذين فتحوا الأندلس بالتعاون مع العرب وأقاموا فيها تلك الحضارة المشتركة» (ص ٦) . كما نتجت «إقامة صروح ذلك المجد المشترك» عن إسهام حكام الأندلس وعلمائها وأدبائها الذين «قضوا حياتهم في هذه الربوع المغربية يخدمون نهضتها العلمية والأدبية ، كما أن كثيراً من علماء المغرب وطلابه عاشوا في ظل الحضارة الأندلسية وارتووا من معينها» (ص ٦) . ويختم عزيان سرديته التاريخية عن تفكك تلك الحضارة المشتركة قائلاً : «ولما تقلص ظل الحضارة العربية عن الأندلس بقي المغرب يعيش على نصيبه من ذلك التراث المشترك ، كما ورث ما سلم من الضياع من تلك الحضارة الأندلسية» (ص ٦) . ومن ثم ، يقترح عزيان أن سقوط الأندلس لا يعنى الاضمحلال التام للحضارة الأندلسية ، بل انتقالها إلى العدو الجنوبية ، أي المغربية . ولنتذكر هنا قصيدة البوعناني حين يقول : «ورثت عن أمك الحسن الذي غمرت / أنواره مغرباً . . . » . فإذ بينما كان الإسبان يجعلون الأندلس «إسبانياً» ، كان عزيان وزميلاه - اللذين أتناولهما لاحقاً - يجعلون الأندلس «مغربياً» . ومن جانبه ، أكد ابن تاويت في رده على الاستطلاع ذاته أن المغرب تأثر بالعروبة ، لكن ذلك التأثير كان في «الدين وشؤونه العلمية» ، وأما الأدب ف«المغرب قد استقى أدبه من الأندلس قبل أي قطر آخر» ، خصوصاً منذ القرن الخامس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، حيث كان «المغرب قد استعد ليمد يديه ، إحداهما من سبتة والأخرى من طنجة ، ليستقبل تلك المنحة الأدبية من جارتها الأندلس» (ص ٧) . بذلك يؤكد ابن تاويت ، على عكس عزيان ، أن الأندلس والمغرب كيانان مختلفان لكنهما متقاربان - بحكم الجيرة - ومرتبطان ، ومن ثم وصل التأثير الأدبي الأندلسي إلى المغرب عبر مدينتي الشمال الأفريقي سبتة وطنجة . وبشكل مماثل ، يرى المنتصر الكتاني في رده على الاستطلاع أن «الأدب الأندلسي لم يؤثر في الأدب المغربي فقط ، ولكنه انتقل إليه واندمج فيه» (ص ٧) . كما تجاوز التأثير الأندلسي البعد الأدبي ، فوفقاً للمنتصر الكتاني : «وإذا بسلاسل جميع هؤلاء إمارة وإمامة ، علماً وفناً ، وأدباً ساحقاً شاملاً ، ترحل كلها زاحفة موج بعضها في بعض ، ضنا بلغتها وعقيدتها وأدبها إلى أرض المغرب فاعتمروا كل شبر منه جنوباً وشمالاً ، غرباً وشرقاً ، فكان المغرب بذلك هو الوارث والوصي» (ص ٧) .

تعكس ردود المؤلفين الثلاثة استحواذ الأندلس وجعله «مغربياً» بشكل أو بآخر. وتتفق إجاباتهم جميعاً، وعلى الأخص ابن تاويت والمنتصر الكتاني، مع ما أسماه إريك كالدرود Eric Calderwood بـ«مركزية الأندلس في سردية التاريخ المغربي» التي ترى أن الثقافة الأندلسية لم تضمحل عند سقوط الأندلس عام ١٤٩٢، بل على العكس هاجرت إلى المغرب، حيث استمرت على قيد الحياة (Calderwood 6). يؤكد كالدرود أن تلك الأطروحة تطورت امتداداً للخطاب الاستعماري الإسباني، ولكن تحليلي يبرز الأبعاد المحلية والمناطقية، بالإضافة إلى الاستعمارية، في تشكيل سياسات نفوذ الأندلس، عبر جعل الأندلس وحضارته العظيمة «مغربية». ولنلاحظ أن الكلمات المستخدمة في المقالات الثلاث لوصف كل ما يتعلق بالحضارة «الأندلسية-المغربية» إيجابية للغاية: «المنحة الأدبية»، و«الكمال والازدهار»، و«المجد». كما يؤكد استخدام مصطلح «النهضة» للإشارة إلى الأندلس عملية المقارنة بين الماضي والحاضر. والمقترح عند المفكرين المغاربة أنه إن لم يكن هناك في الحاضر ما يدعو النهضة الأدبية المغربية للفخر، فقد كان للمغرب تاريخياً نهضة أدبية وثقافية وحضارية مجيدة، سواء بوصفه شريك الأندلس أو وارثاً له.

تتضح فائدة ذلك الربط بين استحواذ الأندلس المثالي والأدب المعاصر من مقالة حول كتاب شعر ملحمي إسباني يتضمن الشعر المغنى لموريسكيي غرناطة في القرن السابع عشر. فقد ترجمت المجلة عنوان المقالة عن الأصل الإسباني «الشعر الملحمي الموريسكي من المجموعة العامة» (انظر/ي Gonzalez Palenciaga) إلى «الأغاني المغربية من المجموعة العامة» في النسخة العربية. بذلك جعلت الترجمة الشعر الموريسكي «مغربياً»، وليس هذا الاستحواذ رمزياً بل حرفي. وبالإضافة إلى ذلك، تتضمن النسخة العربية كلمة «نهضة» غير الموجودة في النسخة الإسبانية الأصلية، فتبدأ المقالة هكذا: «إنني أوأمّل ممن لهم شغف كبير بالنهضة الشعرية أن يستخلصوا نتيجة من الكنوز الدفينة التي تحتوي عليها المجموعة العامة»، على حين أن الترجمة الأدق للتعبير الإسباني هي: «من لهم ذوق راق بالشعر» "Los buenos catadores de poesía". وليس هدفي هنا انتقاد الترجمة في حد ذاتها، وإنما الإشارة إلى استعمال مصطلح «النهضة»، والكشف عن فائدة هذا الاستعمال في نص يجعل أغاني موريسكيي غرناطة من القرن السابع عشر مغربيةً.

تعكس كل هذه النصوص والمقتطفات النصية عملية امتداد النفوذ من الماضي الأندلسي إلى الحاضر المغربي وأدبه العربي بشكل خاص ، على عكس أطروحة الجمود الدائم والمستمر للأدب المغربي الناتجة عن الخطاب الاستعماري الإسباني ، وكذلك كنوع من معارضة فكرة استمرار مركزية الأدب المشرقي والمهجري في النقد الأدبي العربي ، وإدخال نسب تاريخي للفضائل الأدبية المعاصرة التي كان المغاربة أنفسهم يشددون عليها عبر إبراز الإسهامات التاريخية وازدهارها . ولكن يبقى للتاريخ قوة وبصمة فيما بعد تصويره ، وهذا هو الأمر المهم الذي أناقشه في الملاحظات الختامية ، حيث أقترح أن الآليات السرديّة المشتركة بين النصوص الإسبانية والعربية - المتمثلة في جعل الأندلس إسبانيةً ومغربيةً وتصويرها بوصفها نوعاً من «الاستثنائية التاريخية» الناتجة عن سياسات نفوذها - جاءت نتيجة لتاريخ البلدين المشترك .

ملاحظات ختامية : الأندلس ومفهوم التاريخ (الأدبي) الدائري

يؤكد إدوارد سعيد في مقدمته للترجمة الإسبانية لكتاب الاستشراق أن «العلاقة بين إسبانيا والإسلام جدّ معقدة وكثيفة . . . ومن المستحيل بالفعل أن توصف بأنها استعمارية فقط» ، مضيفاً أن «إسبانيا استثناء بارز في سياق النمط الأوروبي العام» (9 Said, *Orientalismo*) . ولعل اعتبار الاستعمار البريطاني والفرنسي «النمط الأوروبي العام» من المظاهر الأكثر جدلية التي أورتها هذا الكتاب الخلاق للدراسات ما بعد الاستعمارية . إذ خلال عقود عديدة ، سادت المفاهيم والخطابات الخاصة بقوتي شمال أوروبا وغربها ، واعتُبر أنها شكلت طابع الاستعمار كلياً ، بدلاً من استيعاب العوالم المتعددة المتشابكة في تكوين خطابات وفعاليات استعمارية . ولذلك ركّز تحليلي على مستويات مختلفة من أجل الكشف عن أثر الأبعاد المحلية والمناطقية في تكوين تصوير الأندلس واستحضارها في مجلتي المعتمد وكتامة . وليس هذا نقداً فارغاً لما فعله أسلافنا ، بل يبدو أن جزءاً من الدراسات الراهنة في مجالي التاريخ والأدب العالمين يستند إلى التعميم الذي ينمط ممارسات مختلفة قد تكون أوروبية أو غربية تحت راية «العالمية» التي تبسّط ، في النهاية ، التعقيد الذي تشبك عوامله على مستويات كثيرة ، الأمر الذي يقوي المركزية الإمبريالية (للمزيد حول نقد هذا التعميم ، انظر/ي Orsini; Kristal; Ascari; Adas; Struck et al.) .

تفحصت هذه المقالة تعقد العلاقات الإسبانية-المغربية الذي أشار إليه سعيد ، وكذلك الخطاب حول التاريخ «الاستثنائي» الذي يتشاركه البلدان . وكشف القسمان السابقان عن الأبعاد المحلية والمناطقية والعالمية-الإمبريالية لخطاب الاستثنائية واستحواذ الأندلس . فأظهر تحليل المقالات الاحتفائية بالشعر الأندلسي أن تشكل نفوذ «الأندلس الإسبانية» كان أداة لمعارضة الإهانة الأوروبية لإسبانيا ، بالإضافة إلى كونه طريقة لشرعنة مهنة الاستشراق والدفاع عن خصوصية الهوية الإقليمية لأندالوثيا . على حين كانت قيمة «الأندلس المغربية» ، في النصوص النقدية التي ألفها الأدباء المغاربة ، تتعلق بمعارضة التفوق الاستعماري الإسباني ومركزية المشرق في النقد الأدبي العربي ، وذلك بتعزيز الجاه المرسخ لكل ما يتعلق بالأندلس في كل أنحاء المغرب . ومن منطلق أن مجرد استيعاب الأبعاد المحلية ومكانة الأندلس الخاصة في كل منطقة وأدب وزمن تاريخي يمكن أن يؤدي بنا إلى فهم تعقيد تصويرها ، وضعت تحليلي في سياقات مرتبطة متعددة ، مثل : المركزية التي حصلت عليها الأندلس في الثقافة والأدب والسياسة الإسبانية ، والتصوير الاستشراقي الخارجي والداخلي لإسبانيا وفكرة «أفريقية» البلاد ، ورفعة مقام الأندلس في المجتمع المغربي والاشتياق والكرامية العالقة بذاكرتها ، والمركزية المشرقية في النقد الأدبي العربي ، وغيرها من العوامل التي تحدد معنى التصوير المثالي للأندلس وسياسات نفوذها في المقالات الاحتفائية الإسبانية والنصوص النقدية العربية . وبناء على ذلك ، استخلصت عدم كفاءة تعميم «النمط الأوروبي العام» وضرورة تجاوز المركزية الأوروبية التي تربط كل ما في البلاد والثقافات المستعمرة بالتأثير الاستعماري .

ورغم وجود كل هذه الاختلافات التي لا مفر من اعتبارها لفهم تعقيد استحضر الأندلس وسياسات نفوذها ، أثبتت قراءة المقالات الإسبانية والنصوص العربية بالتوازي اشتراكهما في بعض الآليات والمجازات ، وأهمها مبدأ القيمة ورفعة مقام الأندلس وأدائها التي شجعت على استحواذها . كما أسهمت المقالات الإسبانية والنصوص العربية في تكوين خطاب الاستثنائية التاريخية حول الحضارة الأندلسية وكونها «مكة الآداب» ، وكذلك تشكيل طموحات مستقبلية بالاستناد إلى تفضيل جزء من تاريخ الأندلس أو أدبها ، وكان ذلك بارزاً في تصوير الأندلس فردوساً نسائياً «للمسلمات الإسبانيات» ، وهو شيء فعلته ، وتفعله ، نسويات عربيات ومسلمات أيضاً كما قيل من قبل . وكما ذكرت ، أدى

ذلك الاستحواذ وخطاب الاستثنائية إلى تجريد الأندلس من تاريخيتها ، أي تجريدها من الخصوصيات والتعقيدات المرتبطة بثقافة ومجتمع عربي - إسلامي من العصور الوسطى يقع في شبه الجزيرة الأيبيرية ويرتبط بالمغرب وبلاد الغرب الإسلامي وبقية الأمة الإسلامية ارتباطاً مهماً . وربما عزز تصوير الأندلس المثالي والاستثنائي هذا مكانة كل من المغرب وإسبانيا الحضارية والثقافية والأدبية ، إذ مهما اختلفت العوامل المحلية الخاصة ، فقد أظهر التحليل تهميش كلا البلدين في أفقيهما الأوروبي والعربي .

وبغض النظر عن تكوين خطاب «الاستثنائية التاريخية» وعن جعل الأندلس «إسبانية» أو «مغربية» - بغض النظر عن تصويرها في آخر المطاف - أود أن أنهي المقالة مشيرة إلى بعد من الأبعاد المهمة التي شكلتها الأندلس في البلدين ، وهو مفهوم التاريخ . أقترح أن التاريخ المشترك ، وتاريخ الأندلس على الأخص ، شكل وعياً تاريخياً مبنياً على الدائرية ، أي على فكرة تكرار أو استبدال التاريخ . ويختلف هذا المفهوم الدائري اختلافاً تاماً عن «الوعي التاريخي الحديث» الذي ناقشه دارسو ما بعد الاستعمار خلال العقود الأخيرة ، والذي يكرّس التاريخ بوصفه أداة قياس اختلاف ثقافي وفقاً للمعيار «الحضاري» (Hunt 115) . يثبت هذا الوعي الحديث مفهوماً تاريخياً مباشراً ، حيث الماضي يساوي تقليدية التفكير والعادات التي قد تتغير عند اتصالها بـ«التنوير» و«الحداثة» و«الحضارة» الأوروبية زمن الاستعمار ، على حين تثبت الدائرية التاريخية التي تأسست العلاقات الإسبانية-المغربية عليها مفهوماً ثقافياً أقل أصولية ، لأن التفوق الحضاري يدور ، ومن ثم يتغير ، مع الزمن والشروط التاريخية والحضارية . وهذا لا يعني أن الوعي التاريخي الدائري ليس استعماريًا ، بل له خصوصيات تختلف عن مفاهيم تاريخية أخرى . فكما أكد أحد ضباط الجيش الإسباني ، كويتو Cueto ، في خطاب له عام ١٩٤٦ أمام السلطات المغربية والإسبانية : «قد جاء العرب بعلم وحضارة إلى إسبانيا خلال بضعة قرون ، ونرى الآن أن إسبانيا تجلبهما إلى المغرب» (Mateo Dieste 223) . يؤدي بنا هذا إلى تكرار فكرة استحالة تعميم وتنميط مبادئ وخطابات استعمارية أوروبية على شكل المملكة المتحدة وفرنسا ، وأهم من ذلك ، استيعاب التاريخ لا بوصفه مفعولاً بل فاعلاً ، بغض النظر عن كيفية تصويره في المغرب أو إسبانيا ؛ إذ يشترط التاريخ المشترك ، وتاريخ الأندلس بشكل خاص ، رؤية الفعاليات الزمنية ومفهوم الذات والآخر .

وليس مفهوم دائرية التاريخ حديثاً ، بل يقع ارتباط الدائرية التاريخية بالاستعمار مثلاً في صلب نظرية أحد أكبر مفكري بلاد المغرب ، وهو ابن خلدون . إن قيام الحضارة وسقوطها ، كما شرحه العالم التونسي في المقدمة (١٣٧٧) ، مبني على الدائرية ؛ إذ تطورت الحضارة على يد غزو المدن ، وبعد مرور الزمن وإفساد العمران بسبب الترف ، سقطت تلك الحضارة بدورها تحت حضارة أخرى (Mahdi 202-08) . ذهب العالم التونسي أندلسي الأصل إلى أن الحضارة والعمران تكونا بعد الغزو ، على حين تبدو الحضارة (أو ادعاء ملكيتها) الشرط الذي لا مفر منه للاستعمار الحديث ، ولكن ما هو مشترك هو مبدأ الدائرية واستبدال الحضارة ، على عكس المفاهيم الغائبة الراسخة في خطابات استعمارية أخرى كالحماية الفرنسية في جنوب المغرب ، أو استعمار فرنسا للجزائر ، أو الاستعمار البريطاني لبلاد المشرق ، وغيرها . وليس هدف هذه الملاحظات الختامية البحث في آثار هذه الفلسفة التاريخية ، بل الإشارة إلى تأثير التاريخ المشترك والأندلس في فهم التاريخ نفسه ، بغض النظر عن تصويره .

وبناء على هذا المفهوم الدائري للتاريخ ، أود أن أنهي المقالة بالتساؤل عن تأثيره في التاريخ الأدبي عامةً ، وتاريخ الأدب العربي على الأخص . فكما اقترح الناقد روجر آلن منذ عقد ، «يبدو أن المغرب مختلف ومهم» ، فيما يخص الإنكار النهضوي للأدب القديم (Allen 316) . ولنعد إلى مقالة عبد اللطيف الخطيب المشار إليها في مقدمة هذه المقالة . يقترح المؤلف والمترجم المغربي إحياء «التراث المشترك» بين المغرب وإسبانيا ، بالاستناد إلى أن «بلدينا . . . وردا نفس المصدر الثقافي فلم يعرفا فضاء العصور الوسطى» وقدمتا «ميراثهما الغزير إلى الثقافات الأوروبية الناشئة من خلال الثقافة الإسبانية الأصلية» (ص ٢) . تتضح هنا سياسات النفوذ الراسخة في الاستثنائية التاريخية ، الكامنة في القول بأن الأندلس لم تعرف فضاء العصور الوسطى ؛ بالإضافة إلى قلب المنطق الإمبريالي المهيمن ، الواضح في القول بأن الأندلس شكلت مصدراً للثقافات الأوروبية . لكن ما يوضح النظرة الإيجابية للماضي القول بأن «التطور الأدبي والعلمي» سيأتي عن طريق «إشعاع [الأندلس] الزاهر» (ص ٢) .

انتقد عدد من الباحثين سردية النهضة العربية المهيمنة (انظر/ي زيدان ، Abu-Lughod; Hourani) ، وبخاصة فيما يتعلق بالمركزية الأوروبية التي ترسخها (انظر/ي al-Musawi) . ولكن المشرق استمر في

تشكيل «جغرافية الحداثة» الأدبية العربية حتى اليوم (Calderwood 164)، رغم اعتراض المفكرين المغاربة على مركزيته، كما ورد في تحليل النصوص النقدية أعلاه. كذلك تعكس النقاشات التي لا حصر لها في النقد الأدبي حول تمييز ما هو «تقليدي» عما هو «حديث» منطلق كسر التاريخ فيما قبل الحداثة وبعدها. ويستند هذا المنطق إلى مفهوم تاريخي مستقر وغائي مختلف عن دائرية التاريخ التي شكلتها الأندلس والتاريخ المشترك بين المغرب وإسبانيا. ومن ثم، بينما أنكر الأدباء النهضويون المشاركة الأدب فيما قبل القرن التاسع عشر، فاعتبروه «تقليدياً»، احتفى الأدباء والنقاد المغاربة بالماضي باعتباره نهضوياً، وبخاصة ذلك المتعلق بالأندلس. وبغض النظر عن الأبعاد المحلية والمناطقية التي حملتها من قبل، والتي تُسهل فهم تصوير الأندلس المثالي واستحضار الأدب الأندلسي في كل من إسبانيا والمغرب منتصف القرن العشرين، أدعي هنا أن العامل المهم في هذا الاحتفاء هو التاريخ نفسه، والمفهوم الدائري الناتج عن التاريخ المشترك على الأخص، الذي يؤدي بنا إلى استيعاب التاريخ بوصفه فاعلاً وليس مفعولاً فحسب.

لا تزال الأندلس تشكل العنصر الرئيسي في تعريف العلاقات بين المغرب وإسبانيا في القرن الحادي والعشرين. وتستمر بعض الأشكال المختلفة لـ«اختطاف الأندلس» المذكورة سابقاً في الظهور حالياً، فقد أحيى انبثاق حزب بوكس Vox اليميني المتطرف في إسبانيا مثلاً خطابات عنصرية تستند إلى مجازات تصوير الأندلس والإسلام بوصفهما كيانه وحشياً^٧. كذلك، يستمر تصوير الأندلس المثالي وجعلها «إسبانية» صرفة في الظهور ليس فقط بين قوميي محافظة أندالوثيا الجنوبية، بل بين أفراد الجالية الإسبانية التي دخلت الإسلام ممن يفصلون الإسلام الأندلسي عن بقية الأمة (انظر/ي Fierro). كما لا يزال التعايش الديني والتسامح الثقافي المنسوبان إلى الأندلس مهيمينين بين أدباء مغاربة، وخصوصاً أولئك المنتمين إلى شمال البلاد والذين يكتبون أدبهم باللغة الإسبانية (انظر/ي Pérez Beltrán). ولعل أوضح دليل على منطق دائرية التاريخ الذي يرسخ خطابات العدوتين يكمن في الهجرة الحالية من المغرب إلى إسبانيا (وأوروبا) التي تُناقش كأنها تكرار تاريخي، بالإشارة إلى الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية على الأخص؛ إذ تُصوّر الهجرة المعاصرة بوصفها إما «عودة» المغربي

(المسمى بـ "el moro") إلى إسبانيا (انظر/ي Flesler) ، أو عدم وصوله
المأساوي ، كما في نص رضوان أحدادو المسرحي طارق الذي لم يعبر .

الهوامش

*أود أن أعبر عن امتناني لحنان جاسم خمّاس التي ساعدتني في مراجعة المقالة
على وقتها وتعاونها ومحبتها الغالية .

¹ توجد نسخة من الرسالة الأصلية منشورة في Vernet 203 . للأسف لم يُعلق
المؤلف - وهو زوج مارتينيث مارتين - عليها .

² ذُكرت مجلتنا المعتمد وكتامة في Pérez Beltrán 12 وAbrighach 34
و67-666 Casielles and Fernández Parrilla و138 Calderwood ، ولكن
لم يتم تناولهما بالتفصيل . حللت Fernández Hoyos المعتمد وشعر
مؤسسة المجلة ميركادير ، لكن مع التركيز على النصوص الإسبانية فقط .
³ جميع الاقتباسات من الإسبانية في المقالة من ترجمتي ، ما لم يذكر غير
ذلك .

⁴ غادرت إسبانيا الصحراء الغربية عام ١٩٧٥ ، وإن لم يعن ذلك إزالة الاستعمار
طبقاً للمواثيق الدولية ، فحتى الآن تذهب الأمم المتحدة إلى أن الصحراء
الغربية «غير متمتعة بالحكم الذاتي» («الصحراء»). ويستمر النزاع على
الأراضي حالياً ، وهناك عدد كبير من اللاجئين الصحراويين في مخيمات
تندوف (بالجزائر) .

⁵ فقد ضمت بلاد الأندلس أجزاءً من البرتغال أيضاً . ويوجد في منطقة الغرب
(Algarve) بالبرتغال مهرجان موسيقي سنوي اسمه المعتمد .

⁶ كان مركز الدراسات المغربية بتطوان قد ترجم أجزاء من النبوغ المغربي
في الأدب العربي إلى الإسبانية عام ١٩٣٩ ، بعد سنة من صدور
النسخة الأصلية ، على عكس ما فعلت السلطات الفرنسية التي
منعت الكتاب . ومن المحتمل أن محرري المجلتين كانا واعيين بأهمية
عمل كُنون .

⁷ فمثلاً عند ذكرى سقوط غرناطة في أيدي الملوك الكاثوليكين ، غرّد هذا
الحزب على شبكة التواصل الاجتماعي تويتر Twitter : «لا يحى [الزمن]
فخرنا لإنجاز سبعة قرون و[نبقى] ملتزمون بعدم استسلامنا للإسلام»
(انظر/ي Vox) .

المراجع العربية

- أحدادو ، رضوان . طارق الذي لم يعبر . الأعمال المسرحية ، مطبعة الخليج العربي ، ٢٠١١ ، ص ص ٥-٦٥ .
- الإدريسي ، مزوار . «المعتمد : منسيات الحداثة الشعرية» . العربي الجديد ، ٢٠١٥ ، bit.ly/38EX5re .
- «الأغاني المغربية من المجموعة العامة» . مجلة المعتمد ، العدد ١٢ ، د . ص .
- البوعناني ، محمد . «ابنة الأندلس» . مجلة المعتمد ، العدد ٢٦ ، آب/أغسطس ١٩٥٣ ، ص ٩ .
- الخطيب ، عبد اللطيف . «تراث مشترك» . مجلة كتامة ، العدد ١٢ ، ١٩٥٨ ، ص ٢ .
- زيدان ، جرجي . تاريخ آداب اللغة العربية . مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ٢٠١٣ .
- السعود ، عبد العزيز . تطوان في القرن التاسع عشر : مساهمة لدراسة المجتمع المغربي . جمعية تطاون أسمير ، ١٩٩٦ .
- «الصحراء الغربية» . الأمم المتحدة ، ١٥ أيار/مايو ٢٠١٩ ، www.un.org/dppa/ decolonization/ar/nsgt/western-sahara .
- طوقان ، فدوى . «بريد المعتمد» . مجلة المعتمد ، العدد ٢٥ ، آذار/مارس ١٩٥١ ، ص ٧ .
- عباس ، إحسان . رسائل إلى محمد الصباغ من ميخائيل نعيمة ، بولس سلامة ، إيليا أبو ماضي ، شفيق معلوف . دار الثقافة ، ١٩٧٢ .
- عزيمان ، محمد ، ومحمد بن تاويت ، ومحمد المنتصر الكتاني . «هل كان للأدب الأندلسي تأثير على الأدب المغربي؟» . مجلة المعتمد ، العدد ٢٧ ، شباط/فبراير ١٩٥٤ ، ص ص ٦-٧ .
- «الكتاني ، محمد المنتصر» . المكتبة الشاملة ، bit.ly/3nJikHD .
- كنون ، عبد الله . «في البحث عن الشعر المغربي الفتني» . مجلة المعتمد ، العدد ١٩ ، تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٩ ، د . ص .
- . النبوغ المغربي في الأدب العربي . المطبعة المهدية ، ١٩٦٠ .
- . «نهضة الشعر في المغرب» . مجلة المعتمد ، العدد ١٢ ، شباط/فبراير ١٩٤٨ ، د . ص .

«محمد البوعناني». مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين، أغسطس ٢٠١٨،
. bit.ly/2XyXc0T

المراجع الأجنبية

- Abrighach, Mohamed. *Superando orillas: Lectura intercultural de la narrativa de Concha López Sarasúa*. Imprimerie El Maarif Al Jadida, 2009.
- Abu-Lughod, Ibrahim A. *The Arab Rediscovery of Europe: A Study in Cultural Encounters*. Princeton UP, 1963.
- Adas, Michael. "Comparative History and the Challenge of the Grand Narrative." *A Companion to World History*, edited by Douglas Northrup, Wiley Blackwell, 2012, pp. 227-43.
- Aixelà Cabré, Yolanda. *In the Footsteps of Spanish Colonialism in Morocco and Equatorial Guinea: The Handling of Cultural Diversity and the Socio-Political Influence of Transnational Migration*. Lit Verlag, 2018.
- Alcantud, José Antonio González. *Lo moro: Las lógicas de la derrota y la formación del estereotipo islámico*. Anthropos, 2002.
- Allen, Roger. "Rewriting Literary History: The Case of Moroccan Fiction in Arabic." *Journal of North African Studies*, vol. 16, no. 3, 2011, pp. 311–24. *Taylor & Francis Online*, doi: 10.1080/13629387.2010.550725.
- Andreu Miralles, Xavier. "El triunfo de Al-Andalus: Las fronteras de Europa y la '(Semi)orientalización' de España en el siglo XIX." *Saitabi: Revista de la Facultat de Geografia i Història*, vol. 55, 2005, pp. 195–210. *Roderic*, hdl.handle.net/10550/27267.
- "Ante un suave acento de amor." *Revista Al-Motamid*, no. 3, May 1947, n. p.
- Ascari, Maurizio. "The Dangers of Distant Reading: Reassessing Moretti's Approach to Literary Genres." *Genre: Forms of Discourse and Culture*, vol. 47, no. 1, 2014, pp. 1–19. *Duke UP*, doi: 10.1215/00166928-2392348.
- Aziza, Mimoun. "Un Orientalisme 'périphérique': L'orientalisme Espagnol face au passé Arabo-Musulman de l'Espagne." *Danubius*, vol. 35, no. 2, 2017, pp. 301–12.
- Bazzaz, Sahar. *Forgotten Saints: History, Power, and Politics in the Making of Modern Morocco*. Harvard UP, 2010.
- Benaboud, M'hammad, et al. *Tétouan: Ville andalouse marocaine*. CNRS Éditions. 1996.

- Bennison, Amira K. *Jihad and Its Interpretations in Pre-Colonial Morocco: State-Society Relations during the French Conquest of Algeria*. Routledge Curzon, 2002.
- . "Liminal States: Morocco and the Iberian Frontier between the Twelfth and Nineteenth Centuries." *North Africa, Islam, and the Mediterranean World: From the Almoravids to the Algerian War*, edited by Julia Clancy-Smith, Frank Cass, 2001, pp. 11–28.
- Bouachrine, Ibtissam. *Women and Islam: Myths, Apologies, and the Limits of Feminist Critique*. Lexington Books, 2014.
- Calderwood, Eric. *Colonial Al-Andalus: Spain and the Making of Modern Moroccan Culture*. Harvard UP, 2018.
- Cano, José Luis. "El collar de la paloma: El mejor libro de amor de toda la literatura Árabe traducido por primera vez al castellano." *Revista Ketama*, no. 2, Dec. 1953, pp. 3-5.
- Civantos, Christina. *The Afterlife of Al-Andalus: Muslim Iberia in Contemporary Arab and Hispanic Narratives*. SUNY P, 2017.
- Cruz Hernández, Miguel. "Kasida sobre el alma." *Revista Al-Motamid*, no. 18, Jul. 1949, n. p.
- De Madariaga, María Rosa. "Árabes y Españoles: Complicidades y recelos mútuos." *Revista internacional de sociología*, vol. 46, 1988, pp. 509–20.
- Epalza, Mikel de, and Abdel-Hakim Slama-Gafsi. *El Español hablado en Túnez por los moriscos o andalusíes y sus descendientes (siglos XVII-XVIII): Material léxico y onomástico documentado, siglos XVII-XXI*. Universitat de València, 2010.
- Fernández Hoyos, Sonia. *Una estética de la alteridad*. Universidad Nacional de Educación a Distancia, 2006.
- Fernández Parrilla, Gonzalo. "The Challenge of Moroccan Cultural Journals of the 1960s." *Journal of Arabic Literature*, vol. 45, no. 1, May 2014, pp. 104-28. Brill, doi: 10.1163/1570064x-12341278.
- , and Laura Casielles. "Spain." *The Oxford Handbook of Arab Novelistic Traditions*, edited by Wail S. Hassan, Oxford UP, 2017, pp. 665–78.
- Fierro, Maribel. "Al-Andalus en el pensamiento fascista Español: La revolución Islámica en Occidente de Ignacio Olagüe." *Al-Andalus/España. Historiografías en contraste: Siglos XVII-XXI*, edited by Manuela Marín, Casa de Velázquez, 2017, pp. 325-49.
- Flesler, Daniela. *The Return of the Moor: Spanish Responses to Contemporary Moroccan Immigration*. Purdue UP, 2008.

- Freitag, Ulrike, and Achim von Oppen. “‘Translocality’: An Approach to Connection and Transfer in Area Studies.” *Translocality: The Study of Globalising Processes from a Southern Perspective*, edited by Ulrike Freitag and Achim von Oppen, Brill, 2010, pp. 1–21. *Studies in Global Social History* 4.
- García Gómez, Emilio. “Ben al-Labbana en la vida de al-Motamid.” *Revista Al-Motamid*, no. 14, Apr. 1948, n. p.
- . “Ben Zaydun.” Translated by Idriss Diwuri, *Revista Al-Motamid*, no. 11, Jan. 1948, n. p.
- . “Poesía arábigo-andaluza.” *Revista Al-Motamid*, no. 15, May 1948, n. p.
- . “El zéjel X de Ibn Quzmān.” *Revista Al-Motamid*, no. 12, Feb. 1948, n. p.
- García-Montón, Isabel, and Carlos García-Romeral. “Viajeros Americanos en Andalucía durante los siglos XIX y XX.” *Revista Complutense de historia de América*, vol. 26, 2000, pp. 261–79. *Revistas Científicas Complutenses*, revistas.ucm.es/index.php/RCHA/article/view/RCHA0000110261A.
- Goikolea-Amiano, Itzea. “Bilingualism and ‘Significant Geographies’ in Moroccan Colonial Journals: *Al-Motamid* and *Ketama*, Modern Arabic Poetry and Literary History.” *Interventions: International Journal of Postcolonial Studies*, 2 Dec. 2020. *Taylor & Francis Online*. doi: 10.1080/1369801X.2020.1845772.
- González Palenciaga, Ángel. “Los romances moriscos del ‘Romancero General.’” *Revista Al-Motamid*, no. 12, Feb. 1948, n. p.
- Hernando de Larramendi, Miguel, et al. *El Instituto Hispano-Árabe de Cultura: Orígenes y evolución de la diplomacia pública Española hacia el mundo Árabe*. Agencia Española de Cooperación Internacional para el Desarrollo, 2015.
- Hourani, Albert Habib. *Arabic Thought in the Liberal Age 1798-1939*. Oxford UP, 1962.
- Hunt, Lynn Ann. “Modernity: Are Modern Times Different?” *Historia Crítica*, vol. 54, 2014, pp. 107–24. *Revistas Uniandes*, doi: 10.7440/histcrit54.2014.06.
- Ibn Azzuz Haquim, Mohammad. “A propósito de la encuesta ‘En busca de la joven poesía de Marruecos.’” *Revista Al-Motamid*, no. 25, Mar. 1953, pp. 10-11.
- Kenbib, Mohammed. “The Impact of the French Conquest of Algeria on Morocco, 1830-1912.” *North Africa: Nation, State, and Region*, edited by George Joffé, Routledge, 1993, pp. 34–59.

- Kristal, Efraín. "‘Considering Coldly...’: A Response to Franco Moretti." *New Left Review*, no. 15, May/Jun. 2002, pp. 61–74.
- Laachir, Karima. "The Aesthetics and Politics of ‘Reading Together’ Moroccan Novels in Arabic and French." *The Journal of North African Studies*, vol. 21, no. 1, 2016, pp. 22–36. *Taylor and Francis Online*, doi: 10.1080/13629387.2015.1084098.
- Lapiedra, Ana. "Al-‘Idwatayn: Espacios y fronteras entre al-Andalus y el Magreb." *Relaciones Hispano-Marroquíes: Una vecindad en construcción*, edited by Ana Isabel Planet et al., Ediciones del Oriente y del Mediterráneo, 2006, pp. 19–34.
- Lazreg, Marnia. *The Eloquence of Silence: Algerian Women in Question*. Psychology P, 1994.
- López García, Bernabé. "Arabismo y Orientalismo en España: Radiografía y diagnóstico de un gemio escaso y apartadizo." *Awraq*, vol. 11, 1990, pp. 35–69.
- Mahdi, Muhsin. *Ibn Khaldûn’s Philosophy of History: A Study in the Philosophic Foundation of the Science of Culture*. Routledge, 2016.
- El Mansour, Mohamed. *Morocco in the Reign of Mawlay Sulayman*. Middle East & North African Studies P, 1990.
- Marín, Manuela. "Reflexiones sobre el Arabismo Español: Tradiciones, renovaciones y secuestros." *Hamsa. Journal of Judaic and Islamic Studies*, no. 1, 2014, pp. 1–17.
- Martín de la Escalera, Carmen. *Fatma: Cuentos de mujeres Marroquíes*. Instituto de Estudios Políticos, 1945.
- . "Hafsa la granadina." *Revista Al-Motamid*, no. 26, Aug. 1953, pp. 6-8.
- . "Recuerdos." *Revista Al-Motamid*, no. 21, Jul. 1950, n. p.
- Martin-Márquez, Susan. *Disorientations: Spanish Colonialism in Africa and the Performance of Identity*. Yale UP, 2008.
- Mateo Dieste, Josep Lluís. *La ‘hermandad’ Hispano-Marroquí: Política y religión bajo el protectorado Español en Marruecos (1912-1956)*. Bellaterra, 2003.
- McMannus, Anne-Marie. "Global Form, Regional Exchange: Translation and Multilingualism in the Avant-Garde Journal between Morocco and Iraq." *The Cambridge History of World Literature*, edited by Debjani Ganguly, Cambridge UP, Forthcoming.
- Mercader, Trina. "Al-Motamid e Itimad: Una experiencia de convivencia cultural en Marruecos." *Revista de información de la*

- Comisión Nacional Española de Cooperación con la UNESCO, no. 25, 1981, pp. 76–80. *Redined*, hdl.handle.net/11162/95598.
- Morales Lezcano, Víctor. *Historia de Marruecos: De los orígenes tribales y las poblaciones nómadas a la independencia y la monarquía actual*. La esfera de los libros, 2006.
- MULOSIGE (*Multilingual Locals and Significant Geographies*), mulosige.soas.ac.uk/resources/translations/translations-essays/bilingual-literary-journals-from-colonial-morocco.
- Murga Mugartegui, José María de. *Recuerdos Marroquíes del moro vizcaíno/José María de Murga (a) El Hach Mohamed El Bagdady*. S. n., 1868.
- al-Musawi, Muhsin Jasim. *The Medieval Islamic Republic of Letters: Arabic Knowledge Construction*. U of Notre Dame P, 2015.
- Núñez de Arce, Gaspar. *Crónicas periodísticas: Guerra de África, 1859-1860*. Edited by María Antonia Fernández Jiménez, Biblioteca Nueva, 2003.
- Orsini, Francesca. “India in the Mirror of World Fiction.” *New Left Review*, no. 13, 2002, pp. 75–88.
- , and Laetitia Zecchini. “The Locations of (World) Literature: Perspectives from Africa and South Asia: Introduction.” *Journal of World Literature*, vol. 4, no. 2, 2019, pp. 145–48. Brill, doi: 10.1163/24056480-00402001.
- Pérez Beltrán, Carmelo, editor. *Entre las dos orillas: Literatura Marroquí en lengua Española*. Universidad de Granada, 2007.
- “Presentación.” *Revista Al-Motamid*, no. 1, Mar. 1947, n. p.
- Romero Morales, Yasmina. “La narrativa colonial Española sobre Marruecos como fuente para el estudio de la mora-bestia: Deshumanización y monstruosidad.” *Feminismo/s*, vol. 31, Jun. 2018, pp. 143–66. RUA, doi: 10.14198/fem.2018.31.07.
- . “Una narrativa que no ama a las moras: Análisis comparado de la violencia de y hacia la mujer Marroquí en textos literarios Españoles.” *Cuadernos de Investigación Filológica*, vol. 44, 2018, pp. 211–33. PKP, doi: 10.18172/cif.3445.
- Said, Edward W. *Orientalism*. Penguin Books, 1978.
- . *Orientalismo*. Penguin Random House Grupo Editorial España, 2002.
- Sos, Eladio. “Al-Motamid, soberano andaluz.” *Revista Al-Motamid*, no. 8, Oct. 1947, n. p.

Struck, Bernhard, et al. "Introduction: Space and Scale in Transnational History." *The International History Review*, vol. 33, no. 4, 2011, pp. 573–84. *Taylor & Francis Online*, doi: 10.1080/07075332.2011.620735.

Vernet, Juan. *Literatura árabe*. Labor, 1972.

"Visión poética de un soberano en su paisaje." Translated by Idriss Diwuri, *Revista Al-Motamid*, no.1, Mar. 1947, n. p.

Vox. "No queremos, ni debemos olvidar, que hoy hace 528 años los Reyes Católicos consumaban la reconquista de España. Aún permanece el orgullo imborrable por una gesta de siete siglos. Y la determinación de no someternos al islam. #TomaDeGranada." *Twitter*, 2 Jan. 2020, 11:15 a.m., twitter.com/vox_es/status/1212663682511130625.